الصحوة

مفهومها .. خصائصها .. عواملها

الصحوة حقيقة واقعة

مادة (صحا) فى العربية تعنى – إذا وصف بها الإنسان – التنبه والإفاقة واليقظة .

ويعرف ذلك من مقابلها وهو : النوم أو السكر . يقال : صحا من نومه أو من سكره ، صحواً ، بمعنى أنه استعاد وعيه بعد أن غاب عنه ، نتيجة شيء طبيعى ، وهو النوم ، أو شيء اصطناعى ، وهو السكر .

والصحوة فى الأصل للقوة الواعية فى الإنسان ، ويعبر عنها بالقلب أو الفؤاد أو العقل ، وفى الشعر العربى قرأنا قول جرير فى حائيته الشهيرة :

أتصحو أم فؤادك غير صاح ؟

وقال الآخر :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله .

والأمم يعتريها ما يعترى الأفراد من غياب الوعى ، مدداً تطول أو تقصر ، نتيجة نوم وغفلة من داخلها ، أو نتيجة (تنويم) مسلط عليها من خارجها .

والأمة الإسلامية يعتريها ما يعترى غيرها من الأمم ، فتنام أو تنّوم ، ثم تدركها الصحوة ، كما نرى اليوم .

الصحوة إذن تعنى عودة الوعى والانتباه بعد غيبة .

وقد عبر عن هذه الظاهرة فى بعض الأحيان بعنوان (اليقظة) فى مقابل (الرقود) أو (النوم) الذى أصاب الأمة الإسلامية فى عصور التخلف والركود وفى مقابل (التنويم) الذى أصابها فى عهود الاستعمار العسكرى والسياسى الذى خلف ألواناً أخرى من الاستعمار هى فى الحقيقة أدهى وأمر ، وأخطر منه وأشر ، وهى الاستعمار الثقافى والاجتماعى ، الذى يسلخ الأمة من ذاتيتها ، كما تسلخ الذبيحة من جلدها .

كما عبر عنها أحيانا بعنوان (البعث) وهو أيضا يكون بعد (النوم) كما فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٦٠ .

كما يكون بعد (الموت) ولعله المتبادر إلى ذهن المسلم : أن البعث بعد الموت : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ (١) .

والأمة المسلمة لا تموت ، ولكن النوم ، شبيه بالموت ، وخصوصاً إذا طال . وقد قيل : النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل ، أو : النوم هو الموتة الصغرى ، والموت هو النومة الكبرى .

ومهما يكن التعبير عن هذه الظاهرة فهى حقيقة واقعة ، نلمسها اليوم فى مظاهرها المتعددة ، ومجالاتها المتكاثرة .

وهى – على أية حال – ظاهرة ليست غريبة على طبيعة الإسلام وطبيعة أمته ، بل الغريب حقاً ألا تكون .

فمن طبيعة الأمة المسلمة ألا يستمر نومها وغيبتها عن الوعى أزماناً تتطاول .

فمن طبيعة الإسلام أن يوقظ فيها عوامل التنبه ، وبواعث التحرك ، ما دام قرآنها محفوظاً فى الصدور ، متلواً بالألسنة ، مسطوراً فى المصاحف ، وذلك ما تكفل الله بحفظه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٢) .

وما دامت سيرة نبيها بين أيديها ، وسيرة أبطالها نصب عينيها ، تضىء مصباح التأسى ، وتوقد جذوة الحماس فى القلوب .

ومن طبيعة الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة ، ولا بد أن يقوم فيها طائفة على الحق ، يهدون به ، ويدعون إليه ، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ . وأنه لا ينخرم قرن من الزمان ، حتى يهيىء الله لهذه الأمة من يوقظها من رقودها ، ويجدد لها الدين ، الذى هو روح حياتها ، وحياة روحها ، كما فى الحديث المعروف : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .(رواه أبو داود وغيره) .

* *

• من خصائص هذه الصحوة :

وهذه الصحوة – أو البعث ، أو اليقظة – التى نعيشها اليوم ، هى صحوة عقل وفكر ، وصحوة عاطفة وقلب ، وصحوة إرادة وعزم وصحوة عمل ودعوة . فهى صحوة شاملة ، وهذا من خصائصها .

---

(١) سورة الحج : الآية ٧ . (٢) سورة الحجر : الآية ٩ .

• صحوة عقل وعلم :

أما إنها صحوة عقـل وعلم ، فيعرف ذلك من يخالط شباب هذه الصحوة ، ويرى نهمهم للقراءة ، وحبهم للمعرفة ، وإقبالهم على العلماء والمفكرين ، من دعاة الإسلام ، وحرصهم على الالتقاء بهم ، والاستماع إليهم فى محاضرات عامة أو حلقات خاصة .

كما نلمس ذلك فى ظاهرة لم تعد خافيـة على أحد ، وهـى انتشار (الكتاب الإسلامى) بين الشباب ، برغم عوائق النشر وقيوده فى كثير من الأقطار ، حتى غدا من المُسَلّم به الآن الذى سجلته الأرقام والإحصاءات ، وخصوصاً بعد إقامة أى معرض أو سوق للكتاب : أن الكتاب الإسلامى هو الذى يضرب الرقم القياسى فى سوق التوزيع .

وظاهرة أخرى هى ترجمة الكتب الإسلامية من لغة إلى أخرى ولا سيما من اللغة العربية – اللغة الأم للثقافة الإسلامية – إلى اللغات الإسلامية فى آسيا وإفريقيا مثل الأوردية والتركية ، والأندونيسية والماليزية ، والماليبارية والسواحلية وغيرها كما ترجمت مؤلفات الأستاذ أبى الأعلى المودودى من الأوردية إلى العربية وغيرها من اللغات .

هذا عدا الترجمة إلى اللغات الأوروبية من الإنجليزية والفرنسية وغيرها .

صحيح أن القراءة هنا ينقصها التنوع والتكامل ، كما أن بعض أبناء الصحوة نراه محصور الاهتمام فى نوع معين من الكتب الإسلامية ، أو فى مدرسة فكرية خاصة لا يكاد يخرج عنها ولكن هؤلاء لا يمثلون جمهور الصحوة الأكبر ، كما أنهم – على كل حال – كسروا تلك القاعدة المخيفة التى تقول إن أمتنا لا تقرأ ، ولا تعنى بأمر القراءة .

* *

• صحوة قلوب ومشاعر :

وهى صحوة قلوب ومشاعر ، تتجلّى فى هذا الحماس الدافق الذى نلمسه لدى الشباب ، فى القلوب الوجلة إذا ذكر الله ، وفى الأعين الدامعة من خشية الله ، وفى الجلود المقشعرة إذا تليت آيات الله ، وفى مشاعر الحب والولاء لله ولرسـوله ، وللمؤمنين ، ومشـاعر البغض للطاغوت وأوليائه والشيطان وحزبه ، والشر ودعاته .

لا غرو ، فإن أوثق عرا الإيمان الحب فى الله ، والبغض فى الله ، والموالاة فى الله والمعاداة فى الله .

وقد وصف الله المؤمنين الصادقين بقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١) . ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ .. ﴾(٢) .

كما وصف الله تعالى جنوده المرجوين لنصرة الإسلام حين يدبر عنه المدبرون ، يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

وبهذا نجد فى الصحوة القلوب النقية ، إلى جانب العقول الذكية ، ونجد الحماسة المتقدة ، إلى جانب الدراسة المتئدة .

ولا شك أننا محتاجون إلى قدر من الحماسة ، نصبه على هذا البرود القاتل الذى ابتلينا به فى كثير من الناس ، فى مواجهة القضايا العامة ، والمصائب التى تحيق بالأمة ، وتهدد مصيرها ، والأوبئة الأخلاقية التى تفتك بها ، والأنحرافات السياسية والاقتصادية التى تهز كيانها ، والتيارات الثقافية التى غزتها غى عقر دارها ، تريد أن تحرف مسارها وتحولها عن هويتها ، وتسلخها عن جلدها .

نحن هنا فى حاجة إلى صرخات الشباب ، لتوقظ النائمين ، وتحذر الغافلين ، وترهب المتلاعبين .

ولا نلوم الشباب هنا إذا ارتفع صراخه ، وعلا زئيره ، وانتفخت أوداجه ،

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٢ .
(٢) سورة الزمر : الآية ٢٣ .
(٣) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

واحمرت عيناه ، ما دامت الأوضاع مستمرة على سوئها وما دام اللصوص الكبار يسرحون ويمرحون ، ولا يعاقب إلا صغار اللصوص ، نشالو الجيوب يسجنون ، ونهابو المال العام طلقاء أحرار لا يمســـهم أحد بسوء ، سيظل الحماس والاندفاع – إلى حد العنف أحياناً – ما دام أهل الخير مبعدين وأهل الشر مقربين ، وما دام المعروف ضائعا ، والمنكر شائعاً ، وما دام الإسلام يعيش غريباً فى أوطانه ، مضطهداً بين أهله ! .

وما دامت شريعته معطلة وقرآنه مهجوراً ، ودعاته الأصلاء معزولين عن مواطن التأثير والتوجيه .

أجل ، لا نلوم الشباب إذا أسرفوا فى الحماس ما دمنا نحن الذين نغذيه بتصرفاتنا ومواقفنا والاستجابة لوساوس أعدائنا . إن غريزة الدفاع عن الذات ستتحرك ولا بد وستحرك أبناءنا الثائرين ، إلى ما قد يعد شططاً أو تجاوزاً وهم يتغنون بقول الشاعر القديم :

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهـــم فهل أنا فى ذا يالهمدان ظالم ؟
متى تحمل القلب الذكى وصارماً آنفاً حمياً تحتنيـــك المظالـــم ؟

إننا إذا كنا صادقين وكنا مجدين فى علاج الشطط من بعض جيل الصحوة ، فعلينا أن نعالجه بعلاج أسبابه ، بعقلية الطبيب مع السقيم ، لا بعقلية الشرطى مع المتهم .

على أن الإنصاف الواجب للصحوة يقتضينا أن نقول : إن الذين يتهمون بالشطط فى حماسهم مع ما لهم من أعذار وأسباب لا يكونون إلا شريحة محدودة من تيار الصحوة العام ، وليس من العدل ولا من الموضوعية أن يتهم التيار كله من أجل فئة قليلة حسنة النية ، لها ظروفها ومبرراتها عند أنفسها ، وعند كثير من الناس .

على أن هناك مجالات للحماس المتوقد ، تبرز فيها الصحوة الإسلامية وتثبت وجودها بقوة وأعنى بها ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية ، وبالشريعة الإسلامية ، وبالأرض الإسلامية .

فلو مس أحد العقيدة الإسلامية ، بأن تجاوز حدوده فيما يتعلق بمقام الله

جل جلاله ، أو بمكانة الرسول الكريم ، أو بقدسية القرآن العظيم ، أو بأى ركن من أركان العقيدة الإسلامية ، وغيبياتها اليقينية ، فإن الصحوة فى لمح البرق تقيم الدنيا ، وتقعدها ، وتنقلب إلى براكين ثائرة ، حتى تعلو كلمة الإيمان ، وتنكسر شوكة الكفر .

وفى مجال الشريعة نجد الصحوة قد أوقدت مشاعل الحماسة لها ، وصعدت التيار المنادى بضرورة العودة إلى تحكيمها وتطبيقها فى كل مجالات الحياة ، والتحرر من ربقة الآثار التشريعية التى خلفها الاستعمار أيام حكمه وسلطانه على بلاد المسلمين .

وبالنظر إلى الأرض الإسلامية ، وجدنا الصحوة قد عمقت ووسعت دائرة الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية ، والأرض الإسلامية ، فنجد فى مدينة كالقاهرة ، أو الإسكندرية مثلاً ، تقام مؤتمرات ، وتعقد حلقات ، وتهيأ أسابيع ، بل تسيّر مظاهرات ، من أجل قضايا المسلمين ، مثل قضية فلسطين أو لبنان ، أو أفغانستان ، أو الفلبين ، أو غيرها ، فأصبحت هذه القضايا حية ، بعد أن أريد لها أن تموت ! .

* *

• صحوة التزام وعمل :

وهى – إلى جوار صحوة العقول ، وصحوة المشاعر – صحوة إرادة وهمة ، صحوة التزام وسلوك ، صحوة عمل وإنتاج .

فقد ترجمت الإيمان إلى عمل ، والعقيدة إلى سلوك ، كما هو شأن الإيمان الإسلامى الصحيح ، فليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ، ولا بالادعاء ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

ولا عجب إن قرن القرآن الإيمان بالعمل ، فى عشرات الآيات ، وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار ، بالعمل ، كما رتب خيرات هذه الحياة نفسها على العمل : ﴿ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (١) . ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة الكهف : الآية ٣٠ . (٢) سورة الزخرف : الآية ٧٢ .

ولا يجادل منصف فى التزام أبناء الصحوة وبناتها بالسلوك الإسلامى ، من أداء الفرائض واتقاء المحارم ، حتى أصبحت المساجد عامرة بالمصلين ، وغدت مواسم الحج والعمرة حافلة بالأعداد الغفيرة من الجيل الصاعد ، ورأينا هؤلاء الذين يمثلون اتجاه الصحوة أبعد ما يكونون عن تناول المسكرات والمخدرات ، وألوان اللهو الحرام ، حتى (السيجارة) لا تعرفهم ولا يعرفونها .

بل نراهم حريصين على إحياء الآداب الإسلامية ، وإظهار السنن التى هجرها الناس فترات من الزمن ، نسيت – أو كادت – من حياة الناس ، مثل إعفاء اللحى ، والتزام الحجاب ، والاعتكاف فى رمضان ، وصلاة العيد فى الخلاء ، وخروج النساء إلى صلاة العيد ، وغير ذلك مما كان مهجوراً ، فظهر واشتهر .

كما رأينا كثيرين من أبناء الصحوة يعملون فى ميادين خدمة المجتمع ، ويسهمون فى الأعمال الخيرية ، بل يقودونها محتسبين متطوعين ، وقد شاهدت ذلك بنفسى فى جمع المعونات للمتضررين بسبب المجاعات فى إفريقيا ، وكذلك للاجئين والمشردين من المسلمين فى فلسطين ولبنان وأفغانستان وغيرها .

وهكذا نرى الصحوة صحوة عمل بالإسلام ، وصحوة عمل للإسلام .

ونعنى بالعمل للإسلام : حمل عبء الدعوة إليه : عقيدة وشريعة ، ودنيا ودولة ، وخلقاً وقوة ، وحضارة وأمة ، وثقافة وسياسة والجهاد فى سبيل تمكينه فى الأرض ، وتحكيمه فى حياة المسلمين ، حتى يتفق واقع المسلم مع عقيدته ، ويلتقى سلوكه مع ضميره ، والعمل على تحرير أمته من كل قيد أو سلطان أجنبى ، أو بقايا سلطان يعزلها عن أصولها وجذورها ، ويسلخها من هويتها الدينية والثقافية والحضارية .

وبهذا تميز تدين الصحوة عن التدين التقليدى الموروث من عهود الانحطاط ، وهو تدين جزئى فردى معزول عن قضايا الأمة الكبرى ، وعن رسالتها فى الحياة ومكانتها فى الوجود .

وهذا ولا ريب نتيجة تأثر الصحوة بالحركة الإسلامية التجديدية وخصوصاً حركة الإخوان المسلمين .

ولا ريب أن الانتفاضة العارمة الأخيرة فى غزة والضفة الغربية وسائر فلسطين المحتلة من ثمار هذه الصحوة ، وأن الجهاد الصامد الصلب فى أرض أفغانستان أمام القوة الكبرى العاتية وإحرازه انتصاراً بعد انتصار ، إنما هو من بركات هذه الصحوة الميمونة .

وثورة الإخوة فى جنوب (الفلبين) منذ سنوات على الحقد الصليبى ، والظلم المتعصب إنما هو من آثار هذه الصحوة .

والتنادى بتطبيق الشريعة الإسلامية على المستوى الجماهيرى ، إنما هو من آثار هذه الصحوة .

* *

• صحوة الشباب المثقف :

ومن خصائص هذه الصحوة : أنها صحوة شباب . أعنى أن الشباب هم عمودها الفقرى ، والعنصر الفعال فى مسيرتها ، سواء كان هذا الشباب من الفتية أم من الفتيات .

كما أنهم الفئة المثقفة من الشباب ، وليسوا الأميين ، أو الذين يفكون الخط من أبناء الشعب . بل هم أبناء الجامعات والمعاهد العليا ، والثانويات .

ومما ينبغى تسجيله والتنبيه عليه : أن طلاب الكليات العملية التى تشترط المجاميع العليا من الدرجات ، للقبول فيها ، ويقبل عليها عادة المتفوقون كالطب ، والهندسة والصيدلة ونحوها ، هى أكثر الكليات الجامعية عمراناً بشباب الصحوة الإسلامية ، حتى أنى لاحظت أن طلبة الطب والهندسة فى جامعة الأزهر كانوا هم القادة المتحركين والمحركين فى الجماعات الإسلامية ، وليسوا طلاب الشريعة أو أصول الدين .

وهذا يدل على أن أذكى الطلاب وأكفأهم عقلياً وعلمياً هم الذين يقودون الصحوة إلى جوار المواهب والقدرات الأخرى النفسية والخلقية والأجتماعية .

وقد مضى زمن كان رواد المساجد فيه هم (الشيّاب) الذين استدبروا الحياة ، واقتربوا من حافة القبر ، ولم يعد لهم فى متاع الدنيا أرب ، ولا فى مطامعها رغب ، فأحبوا أن يختموا كتاب حياتهم بصفحات بيض من التوبة والذكر وإقامة الصلاة .

أما اليوم ، فيشهد كل من كان بينه وبين المسجد صلة ، أن رواد المساجد الحريصين على الصلوات فى أوقاتها وعلى الجماعات الأولى ما استطاعوا ، هم شباب فى عمر الزهر ، وفى مقتبل العمر ، رغبوا أن يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فنشأوا فى طاعة الله تعالى ، وتعلقت قلوبهم بالمساجد وتحابوا بروح الله عز وجل ، اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه .

ومواسم الحج والعمرة غاصة بالشباب ، كما يلاحظ ذلك كل مراقب ، وكما تدل عليه الإحصاءات الرسمية .

وقراء الكتاب الإسلامى جمهرتهم من الشباب المتعطش إلى معرفة الإسلام معرفة تحدد له الغاية ، وتضىء له الطريق ، وخصوصاً ممن يثق بعلمهم ودينهم وسلامة اتجاههم ، ممن يقدرون أمانة الكلمة ، وثقل التبعة : ﴿ الَّذينَ يُبلّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ ، وَكَفَى بِاللهِ حَسيبًا ﴾ (١) .

ولا عجب أن يكون الشباب هم عماد الصحوة ، فالشباب دائماً هم أنصار الرسالات السماوية وجنود الدعوات الربانية ، لأنهم أنقى قلوبًا ، وأرق عواطف وأقوى عزائم .

ومن هنا حدثنا القرآن الكريم عن عدد من الشباب المثالى كانوا قمماً ترنو إليها الأبصار ، وتشرئب نحوها الأعناق ، فى الإيمان ، أو التقوى أو الشجاعة والصبر ، أو البذل والفداء .

حدثنا عن إبراهيم الذى حطم الأصنام وجعلها جذاذاً ، ضرباً بيمينه وتكسيراً بفأسه ، وهو فتى ، كما شهد بذلك الكفار من قومه .

حدثنا عن إسماعيل الذى قدم عنقه طائعاً مختاراً لأبيه ، لينفذ فيه أمر الله ، بلا تردد ولا تباطؤ ولا ادعاء ، ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، سَتَجِدُنِى إِنَّ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾(٢) .

حدثنا عن يوسف الذى قاوم الإغراء والفتنة من امرأة العزيز ومن وراءها من النسوة ، قائلا : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ ﴾(٣) .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٩ .
(٢) سورة الصافات : الآية ١٠٢ .
(٣) سورة يوسف : الآية ٣٣ .

حدثنا عن يحيى الذى قال له : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ، وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا ﴾ (١) .

حدثنا عن اتباع موسى فقال : ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾(٢) .

حدثنا عن أهل الكهف ، فقال : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (٣) .

كما حدثنا التاريخ عن أصحاب محمد ﷺ ، الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، وكانت جمهرتهم الغالبة شباباً .

وحدثنا كذلك عن دور الشباب فى صدر الإسلام وما قاموا به من دور فى العلم والعمل والدعوة والجهاد .

فلا غرو أن ينبعث الشباب اليوم ، ليؤدوا بعض ما أداه آباؤهم من قبل .

* *

● صحوة مسلمين ومسلمات :

ومن خصائص هذه الصحوة : أن للمرأة فيها مكاناً ملحوظاً وللفتاة المسلمة خاصة ، دوراً مرموقاً ، لا يجحده من له عينان .

وأبرز ما يدل على هذا المعنى ويحسمه : ظاهرة (الحجاب) . وأعنى بها التزام الزى الشرعى ، وهو ما تغطى به المرأة جسمها ما عدا وجهها وكفيها (كما هو رأى جمهور الفقهاء) بعيداً عن التبرج والإثارة ، فلا تلبس ما يصف أو يشف ، ولا تخرج عن الوقار فى كلامها ، أو مشيتها أو حركتها ، حتى لا يطمع الذى فى قلبه مرض ، وحتى تعرف الجادة المستقيمة من العابثة اللعوب فلا تتبع ولا تؤذى ، ولا تفتن ولا تفتَن .

ولا زلت أذكر كيف مضت علينا سنوات عجاف فى كثير من البلاد العربية والإسلامية كان المرء يمشى فى عواصمها ، فلا يكاد يرى امرأة محجبة

---

(١) سورة مريم : الآيات ١٢ – ١٤ . (٢) سورة يونس : الآية ٨٣ .
(٣) سورة الكهف : الآية ١٣ .

إلا على سبيل الندرة أو الشذوذ ، حتى المرأة العجوز التى أكل الدهر عليها وشرب ، لم تكن تستحى أن تسير فى الطرقات بما يسمونه الجابونيز أو (المينى) أو (الميكرو) أو غيرها من بدع الأزياء المستوردة التى يصممها لنسائنا فى الغرب اليهود وتلاميذ اليهود .

لقد كنت أقول فى أوائل الستينات : إننا – نحن المسلمين هزمنا أمام الحضارة الغربية الغازية فى جملة ميادين ، أبرزها ثلاثة :

١ – ميدان (الاقتصاد) : حيث ألغيت (الزكاة) من التشريع ، وهى الركن الثالث فى الإسلام ، وأحل (الربا) وهو من أكبر الموبقات عند الله . وأصبحت المقولة السائدة أن : لا اقتصاد بغير بنوك ، ولا بنوك بغير فائدة أى بغير ربا .

٢ – وميدان (المرأة) : التى سلخها التقليد الأعمى للغرب من شخصيتها ، فخرجت على أرسخ التقاليد الإسلامية ، فى مدة قياسية ، وغدت أداة من أدوات الإفساد للمجتمع ، ومعولاً من معاول الهدم فى البنيان الأخلاقى للأمة ، فاقت فى تحللها من الآداب الإسلامية ما كان يدعو إليه المقلدون للغرب ، الذين أطلقوا على فكرتهم وصف (تحرير المرأة) ! .

٣ – وميدان الفن : الذى دخل على الناس بيوتهم ومخادعهم ، وملأ عليهم صباحهم ومساءهم ، بما يسمع وما يقرأ ، وما يشاهد ، عن طريق الأجهزة الجبارة التى باتت تصوغ أفكار الجماهير وأذواقها وميولها واتجاهاتها العقلية والنفسية والخلقية والاجتماعية والسياسية .

والحمد لله لقد بدأنا فى الميدانين الأول والثانى ، نسترد كثيراً من مواقعنا ، بعد أن خيم اليأس علينا ، أو على كثير منا ، فى بعض الأوقات .

ففى المجال الأول نشرت دراسات وبحوث عميقة ، وقدمت أطروحات أكاديمية تثبت أصالة الاقتصاد الإسلامى وتوازنه وتفوقه وعقدت مؤتمرات وندوات عالمية وإقليمية تبحث فى جانب أو أكثر من جوانب هذا الاقتصاد . وأجمع أعضاء هذه المؤتمرات من رجال الفقه والاقتصاد والقانون على حرمة الفائدة وضررها ، وإمكان قيام مصارف ومؤسسات استثمارية تلتزم بأحكام الإسلام فى تحريم الفائدة والغرر وغيرهما . وأنشئت مراكز وأصدرت مجلات لبحوث الاقتصاد الإسلامى فى أكثر من بلد .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقامت بالفعل بنوك وشركات إسلامية بلغت الآن أكثر من خمسين ، وهى تنمو وتزيد .

أصبح الحجاب ظاهرة شائعة بعد أن كان نادراً أو شاذاً ، ومما يسر كل مؤمن هنا أن الفتاة المسلمة عادت إليه راضية مختارة ، لم يجبرها عليه أب ، ولم يدفعها إليه زوج ، ولم ترغبها فيه أم ، بل ربما عارضها الأب ، أو خاصمها الزوج ،، أو نفرتها الأم ، وهذا ما وقع بالفعل للكثيرات ، ولا يزال يقع .

لقد عادت المسلمة إلى الحجاب مقتنعة بأن هذا أمر الله وفرضه الذى لا خيار لمؤمن ولا مؤمنة فى قبوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ... ﴾ (١) .

عادت إلى الحجاب مؤمنة بأن الخير ،كل الخير ، والهدى كل الهدى ، والفلاح كل الفلاح فى الأولى والآخرة ، رهن بطاعة الله وتنفيذ أمره : ﴿ وَمَن يُطعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٢) . ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً ﴾ (٣) .

ومن خصائص هذه الصحوة ، أنها عالمية :

فهى ليست صحوة مقصورة على بلد معين ، أو إقليم محدود أو جنس خاص ، إننا نجد هذه الصحوة فى بلاد العرب والعجم ، نجدها فى آسيا وإفريقيا، نجدها فى الشرق والغرب ، نجدها فى داخل العالم الإسلامى وخارجه.

وقد أتيح لى أن أزور كثيراً من الأقطار الإسلامية ، فوجدت هذه الظاهرة ماثلة للعيان .

وزرت كثيراً من الجاليات والأقليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا وكندا وبلاد الشرق الأقصى ، فلمست أثر الصحوة فيها ، بين المسلمين والمسلمات ، وخصوصاً من الفتية والفتيات .

رأيت الذين يحرصون على حفظ القرآن الكريم ، وحسن تلاوته ، وقراءته بخشوع تهتز له القلوب ، وعلى حفظ الأحاديث النبوية وفهمها ، ودراسة السيرة المطهرة والتاريخ الإسلامى ، والفقه فى الشريعة ، ومعرفة الحلال

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٦ .
(٢) سورة الأحزاب : الآية ٧١ .
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٦ .

من الحرام .. وأكثر من ذلك الحرص على إقامة الصلوات فى جماعة ، والاهتمام بصلاة الليل ، وصيام يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع .

ومما ينبغى تسجيله هنا : وصول هذه الصحوة إلى المدن والقرى المحتلة من فلسطين منذ النكبة الأولى فى سنة ١٩٤٨ م ، والتى ظن كثيرون أن أهلها قد ذابوا فى الكيان الصهيونى (إسرائيل) وانقطعت صلتهم بالإسلام ، فإذا تيار الصحوة ينتقل إليهم ، فيبعثهم من همود ، ويوقظهم من رقود ، يعلم من جهل ، وينبه من غفل ، ويذكر من نسى ، ويرد من شرد عن الطريق إلى أهله وأمته . وهذا ما أقلق اليهود وأفزعهم : أن يسود الوعى الإسلامى ويمتد ويقود الإسلام الركب من جديد ، وهو ما يحسب له الصهاينة ألف حساب .

* *

● أين ما قدمته الصحوة :

ومن الناس من يتجاهل كل ما ذكرناه ، ويقول : أين ما قدمته الصحوة الإسلامية ، من إنجازات ، فى مختلف جوانب الحياة ؟ وما لنا لم نرها حلت مشكلاتنا ، وعالجت أدواءنا وهمومنا ؟ .

وهذا السؤال خطأ من عدة أوجه :

الأول : أن الصحوة إنما هى بداية حركة وانطلاق ، وباكورة انبعاث ونهوض ، فالإنسان حينما يصحو ويفيق يبدأ فى العمل ، ويشرع فى السعى إلى ما يريد .

فليس من المنطق أن يطلب من الصحوة أكثر مما يطلب من المستيقظ فى أول النهار ، أو من الشاب حينما يصعد أول درجات السلم الوظيفى .

الثانى : أن الصحوة ليست شيئاً منفصلاً عنا ، مهمتنا أن نقف متفرجين عليه ، ونطالبه بأن يحقق لنا الآمال ، ويقرب لنا البعيد ، ولا نفعل نحن شيئاً .

إنما الصحوة منا وبنا ولنا ، ولا قيام لها إلا أن نكون معها بل نكون لها .

الثالث : أن الصحوة لا تستطيع أن تنجز ما نريده منها ، وما تريده ، هى من نفسها ، إذا وضعت فى قفص الاتهام ، ووضعت – كما نرى اليوم فى

كثير من الأقطار – العراقيل فى طريقها ، وقذف أبناؤها بالحجارة والحصى من يمين وشمال ، اتهمت بما هى منه براء ، أو عوقبت بذنب غيرها ، أو ضخم الخطأ يقع من بعض الأفراد المنتسبين إليها .

لقد رأينا فى بعض الأقطار السماح لكل التيارات – حتى الوافدة الملحدة – أن تعبر عن نفسها عبر صحف وقنوات ومؤسسات سياسية ، إلا التيار الإسلامى ، فهو – وحده – المصادر حقه ، المكمم فوه ، المحظور تحركه .

الرابع : أن الصحوة حركة عقل وقلب وإرادة ، وقد بدأت هذه الحركة فى الظهور والنمو والصعود ، وإنى واثق بإذن الله أنها سيكون لها ما بعدها ، وفق السنن الكونية والاجتماعية ، وأنها جديرة أن تتعلم من التجارب ، وتستفيد من دروس الزمن وأخطاء الآخرين ، لتصلح من مسارها وتنتقل من المراهقة إلى الرشد ، وصدق الشاعر الذى قال :

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أنه سيصير بدراً كاملاً !

ومن الكتاب المعاصرين من ينكر أن تكون هناك « صحوة إسلامية » لأن الإسلام لم ينم ولم يغب عن الوعى ، حتى يصحو فالإسلام كان ولم يزل بخير ! .

وآخر من قرأت لهم مثل هذا التحليل ، د . محمد الرميحى – رئيس تحرير مجلة العربى .

وهؤلاء يشكرون على اعتبارهم الإسلام بخير ، وأنه كان ولم يزل قوياً قائماً .

ولكن من تجاهل التاريخ والواقع أن نجحد أن المسلمين فى العصور المملوكية والعثمانية الأخيرة ، كانوا قد جمدوا وتخلفوا ، وباتت حياتهم كالماء الآسن ، لا اجتهاد فى الفقه ، ولا إبداع فى الأدب ، ولا ابتكار فى العلم ، ولا اختراع فى الصناعة ، حتى غدا شعارهم : ما ترك للآخر الأول شيئاً ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان ! .

كما لا يستطيع دارس منصف أن يجحد ما صنعه الاستعمار – منذ دخل ديارنا وتمكن منها – فى العقول والأنفس وشتى شؤون الحياة .

إن الغزو الثقافى والأخلاقى والاجتماعى أثر فى حياتنا تأثيراً عميقاً ، حتى مزق شخصيتنا من الداخل ، وجعلنا – إلا من رحم ربك – نعيش غرباء عن أنفسنا ، غرباء ونحن فى أوطاننا ، ومع أهلينا وذوينا . إنها غربة النفس والفكر والروح ، وليست كالغربة التى ذكرها المتنبى قديماً : غربة الوجه واليد واللسان ! .

ومن المعاصرين من ينكر أن ثمة صحوة ، لأنه لا يرى فى كلا ما جاءت به الصحوة إلا الجلابيب القصيرة ، واللحى الطويلة ، والخشونة فى الدعوة ، والجلافة فى السلوك .

وهذا لعمرى ظلم ، أن تصور الصحوة بهذه الصورة ، فهذه الصحوة قد نفع الله بها كثيراً من أبناء الجيل ، فاهتدوا بعد ضلال الفكر ، واستقاموا بعد انحراف السلوك ، واستيقظوا بعد غفلة القلب ، واهتموا بقضايا أمتهم الكبرى بعد أن كان اهتمامهم بتوافه الأمور .

عرفوا القرآن تلاوة وفهماً ، وعرفوا الحديث حفظاً ودرساً ، وعرفوا السيرة النبوية هدياً ونوراً ، وعرفوا الشريعة مرجعاً ومنهاجاً ، وتحرروا من التبعية الفكرية ، والنفسية ، للغرب والشرق ، ولم يعد اعتزازهم إلا بالإسلام ، ولا همهم إلا تحكيم شريعته ، وتوحيد أمته ، وتحرير أرضه ، ترى منهم الصائمين والقائمين والركع السجود .

أين من هؤلاء آخرون يعيشون ، غافلين ، لا يعرفون لهم هدفاً ولا رسالة ، أمواتاً غير أحياء ؟! .

وآخرون لا هدف لهم إلا هم بطونهم ، وشهوات فروجهم . أضاعوا الصلوات ، واتبعوا الشهوات ، وباعوا أنفسهم بثمن بخس ، نشوة سكر ، أو غيبة خدر ، أو فورة جنس ، أو سهرة مجون ؟! .

إن من الظلم للحقائق أن نغفل كل ما يقوم به جيل الصحوة من علم وعمل ، وبذل وعطاء ، ولا نذكر إلا جلابيب الرجال ، ونقب النساء ! .

على أن هذه – لو أنصفنا – إنما هى رمز للتحدى الحضارى ، ودليل على التميز الثقافى ، وعنوان على تماسك الشخصية فى مقابل أولئك الذين أذابوا أنفسهم فى حضارة الغرب .

ودعونى أقل بصـــراحة : أن لدى كثيـر من العصـــريين منا ما يشـــبه (الحساسية المرضية) ضد بعض الأشكال والأزياء التى يتخذها طائفة من أبناء الصحوة على اعتبار أنها آداب أو سنن ، أو حتى واجبات .

ومثل هذه الأشياء فى المجتمعات الغربية تمر دون ضجيج ولا إنكار ، فكثير من شبابهم يطلقون لحاهم ، وكثيرون يطيلون شعورهم ، وآخرون يحلقون بعض اللحية من أسفل ، ويعفونها على الجانبين ، ولا يثير هذا عليهم عجاجاً ، ولا لجاجاً . على حين نجد إعفاء اللحية ، وتقصير الثوب ، عندنا يثير من القيل والقال ، ما يجعل منه باستمرار موضوعاً دائم الاشتعال .

ومثل ذلك يقال فى أزياء النساء ، فما الذى يقلق إخواننا العصريين أن تلتزم الفتاة المسلمة بالحجاب ، أو حتى بلبس النقاب ؟! .

لماذا لا يدخلون هذا فى باب (الحرية الشخصية) كما يصنعون ذلك مع التى تلبس القصير الفاضح ، ولا يمسها أحد ببنت شفة ؟! .

* * *

عوامل الصحوة

ما سبب هذه الصحوة ؟ وما العامل المؤثر فى ظهورها ؟ .

كتب كاتبون كثيرون فى ذلك ، يمثلون شتى الاتجاهات ، وكل يغنى على ليلاه ، وكل يفسر الأحداث وفق فلسفته التى يؤمن بها وتبعاً لمدرسته التى ينتمى إليها .

فهناك أتباع (التفسير المادى) الذين أرادوا أن يردوها إلى أسباب اقتصادية برزت فى المجتمع ، وهذا هو ديدنهم فى تفسير كل وقائع التاريخ ، وتغيراته ، حتى ظهور النبوات والرسالات السماوية ، أسبابه اقتصادية ، ومن لم يؤمن بالله ولا بملائكته وكتبه ورسله لا يستبعد عليه ذلك .

وآخرون ردوها إلى أسباب نفسية ، نشأت بعد نكبة سنة ١٩٦٧ ، التى سموها (النكسة) والتى احتلت بها إسرائيل ما بقى من فلسطين بعد نكبة ١٩٤٨ م وأضافت إليها الجولان ، وسيناء .

ولا غرو أن توقظ النكبات الكبرى الناس ، ما داموا على بقية من سلامة الفطرة ، وقد بين لنا القرآن موقف الإنسان – ولو كان مشركاً – إذا مسه الضر ، ونابه الكرب ، فهو يدعو ربه منيباً إليه . كما صور موقف ركاب الفلك ، إذا عصفت بهم الريح ، وأحاط بهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين . فلا يستبعد أن تهز النكبة الثانية ، بعد نكبة ١٩٤٨ م – نكبة ١٩٦٧ م – كيان الإنسان المسلم وترده إلى ساحة الله تعالى ، بعد أن استنسر فى أرضه البغاث ، وتجرأ عليه الجبان وانتصر عليه اليهود ، أحرص الناس على حياة ! .

وأغرب ما كتبه بعض اليساريين العرب فى مصر أن أحد الحكام هو الذى هيأ لهذه الصحوة أن تظهر ، ليقاوم بها التيار الشيوعى المتنامى فى نظره ! .

وإن تعجب فعجب أن يقول ذلك الذين يزعمون أنهم ينطقون بلسان الجماهير ! ولا أدرى كيف جهل هؤلاء أن صحوات الشعوب لا تصنعها إرادة

الحكام إذا كانت صحوة عميقة الجذور فى الفكر والشعور والإرادة والسلوك ، كما هو المشاهد فى الصحوة الإسلامية المعاصرة ، وليست مجرد زبد طافٍ على السطح .

لو كانت هذه الصحوة من صنع حاكم لاستطاع أن يلغيها كما أنشأها ، فإن الذى يقدر على البناء يقدر على الهدم بل هو أسهل .

وليت شعرى من الذى صنع الصحوة فى سائر ديار العرب غير مصر ؟ ومن الذى صنعها فى سائر ديار الإسلام ؟ ومن الذى صنعها خارج العالم الإسلامى ؟ .

قد يفكر حاكم ما فى وقت ما فى استغلال الصحوة فى إضعاف عدوّ له ، لا محبة فى زيد ، ولكن كراهية فى عمرو ، وقد ينجح فى ذلك ، وقد يخفق ، وقد يتفق هدفه هذا مع هدف الصحوة نفسها ، وقد تعتقد أنها هى التى تستغله ، ومهما يكن فلا يعنى شىء من هذا أن الصحوة من صنع يده[1].

ربما غاظ هؤلاء أن هذا الحاكم أتاح للتيار الإسلامى – فى وقت ما – أن يعبر عن نفسه ، كما يعبر غيره ، كما أتيح لكل التيارات من يمين ويسار أن تعبر عن نفسها بل هيىء لها فى سنوات طويلة أن تثب على أجهزة إعلام الدولة ، وتسيطر عليها وتوجهها لخدمة فكرها ، وتشويه الفكر الإسلامى والافتراء عليه ، ولا أحد يملك الرد أو الاعتراض ! .

أجل .. هذا ما ملأ قلوب هؤلاء غيظاً ، لأنهم يعلمون ويوقنون من تجارب الماضى والحاضر أنه التيار الوحيد الأصيل المتجاوب مع فطرة الأمة ووعيها وتاريخها ، وأن حرية الكلمة والحركة هى دائماً فى مصلحة التيار الإسلامى ، وأنه لا يقاوم إلا بالحديد والنار ، وقهر الشعوب على غير ما تريد ، وأنه يكمن ولكن لا ينمحى ، وقد يضعف ، ولكن لا يموت .

إن كل ما يطلبه التيار الإسلامى أن يترك له الحرية ليخاطب الشعب ، ويجنّدَ الجماهير ، ويدعو إلى حقائق الإسلام ، ويرد على أباطيل خصومه ، وهذا حق من حقوق الإنسان كفلته المواثيق الدولية ، والدساتير المحلية ، ونادت به الديمقراطية التى يتغنون بها .

---

(١) انظر أيضاً : كتابنا (الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه) ص ٢٠٩ – ٢١٦ .

أم يريدونها ديمقراطية لهم وحدهم ، وهم بأفكارهم المستوردة غرباء عن الأمة دخلاء عليها ؟ فحرية الرأى والتعبير والحركة والاجتماع لكل اتجاه وكل فلسفة إلا الاتجاه الإسلامى صاحب الدار ! ورحم الله شوقى الذى قال :

أحـــــرام على بلابله الـدو ح ، حلال للطير من كل جنس ؟!
كل دار أحـــــق بالأهل إلا فى خبيث من المـــذاهب رجس

والغريب أن هؤلاء الذين يدعون لأنفسهم – ويدعى لهم مروجو بضاعتهم – القدرة على الغوص والتحليل ، ينظرون إلى الصحوة كأنها ظاهرة شاذة ، أو خارقة لقوانين الكون وسنن الاجتماع البشرى .

وكأن الأصل فى الأمة المسلمة ، أن تنام فلا تصحو ، وأن تفقد الوعى ، فلا تفيق ، وإذا أفاقت وصحت ، وجب أن يكون صحوها وإفاقتها بغير الإســلام ، ولغير الإسلام ! .

ولعمرى . إن هذا كله خطأ ، بل باطل ، فالأصل فى أمتنا أن تصحو وتنتبه بالإسلام وللإسلام ، من رجع إلى تراثنا وجد علماءنا يقولون : ما جاء على الأصل لا يُسأل عن علته . لأن من شأن الأمة الإسلامية ألا يطول غيابها عن وعيها ، بمقتضى طبيعة الإسلام الذى تؤمن به ، والذى تستمع لقرآنه صباح مساء ، والذى لا تغيب عن ذاكرتها سيرة رسوله وسير أبطاله .. طبيعة هذا الإسلام تأبى إلا أن توقظها من سبات وتحييها من موات ، فالإسلام يدعوها أبداً إلى العلم والعمل ، ويرغبها فى الفكر والنظر ، ويحرضها على الكفاح والجهاد ، ويعدها بالنصر وعلو الكلمة ، ويؤكد لها أن الله مع المؤمنين ، وأن العاقبة للتقوى ، وأن النصر مع الحق ، وأن الباطل زاهق لا محالة ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ ﴾ (١) .

ومن شأن هذه الأمة – وفق ما جاء به القرآن ، وما أخبر به الرسول ، وما نطق به التاريخ – أن لا تجتمع على ضلالة ، وأن تظل فيها طائفة قائمة على الحق ، داعية إلى الخير ، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر ، حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون .

يقـــول الله فـــى كتابه : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الرعد : الآية ١٧ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨١ .

ويقول الرسول الكريم : « لا تزال طائفة من أمتى قائمين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » . متفق عليه .

ويقول : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود .

ويقول التاريخ : إن هذه الأمة قد أصابتها نكسات ونكبات كبرى ، منذ فجر تاريخها ظن الناس معها بها الظنون ، وابتلى بها المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً .

ولكن الأمة استطاعت أن تتغلب على عوامل الضعف من الداخل ، وعوامل الغزو من الخارج ، وأن تحول الهزائم إلى انتصارات ، وأن تخلق من الضعف قوة ، ومن التفرق وحدة ، ومن الأشلاء المبعثرة جسم عملاق .

وقال التاريخ أيضاً : إن هذه الصحوات الكبرى لم يصنعها غير الإسلام حين يجد من يعلى كلمته ، وينادى باسمه ، ويجند قوى الأمة تحت رايته .

سجل التاريخ ذلك فى حروب الردة منذ عهد الخليفة الأول ، يوم ارتدت قبائل العرب ، وتبعوا المتنبئين الكذابين ، ولم يبق على الإسلام غير المدينة ومكة .

وسجل ذلك فى حروب الصليبيين فى عهود عماد الدين زنكى ونور الدين محمود الشهيد ، وصلاح الدين الأيوبى .

وسجل ذلك مرة أخرى فى غزو التتار للعالم الإسلامى ، وبعد أن دمروا بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية ، ثم لم يلبث الإسلام أن أثبت وجوده ، وانتصر على التتار مرتين :

انتصر عليهم عسكرياً فى معركة حاسمة من معارك التاريخ قادها سيف الدين قطز ، مع جنود مصر ، وهى معركة (عين جالوت) فى ٢٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، أى بعد سنتين فقط من سقوط بغداد (سنة ٦٥٦ هـ) .

وانتصر عليهم انتصاراً آخر ، انتصاراً معنوياً ، حين دخلوا فى الإسلام مختارين ، وسجل التاريخ لأول مرة دخول الفاتحين الغالبين فى دين المغلوبين ! وهى إحدى معجزات الإسلام .

وسجل ذلك فى معارك التحرير والاستقلال فى الأوطان الإسلامية كافة فقد كان الإسلام هو المحرك الأكبر ، وهو القائد الحقيقى ، لكل معارك الجهاد ، ضد الاستعمار الغازى لبلاد المسلمين .

* *

● حركات التجديد والدعوة وأثرها فى الصحوة :

على أن هناك حقيقة يجب أن تعرف وتذكر إذا تحدثنا عن أسباب الصحوة ومكوناتها وهى : أن الصحوة المعاصرة التى نشهد آثارها ومظاهرها اليوم ، لم توجد من فراغ ولا ولدت دفعة واحدة ، ولا كانت (نباتاً شيطانياً) ظهر وحده ، بغير زارع ولا راع كما تصور بعض الناس .

إن هذه الصحوة امتداد وتجديد لحركات إسلامية ، ومدارس فكرية وعملية ، قامت من قبل ، انفرض بعضها ولا زال بعضها قائماً بصورة ، أو بأخرى حتى اليوم ، حركات قام عليها رجال صادقون ، حاول كل منهم أن يجدد الدين ، أو يحيى الأمة ، فى بقعة معينة أو أكثر من بقعة من أرض الإسلام ، أو فى جانب معين أو أكثر من جانب من جوانب الحياة ، فى الاعتقاد أو الفكر أو السلوك .

يذكر التاريخ منهم مجدد الجزيرة العربية ، باعث الدعوة السلفية ، خريج المدرسة الحنبلية ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ-١٧٩٢ م) ، الذى قامت على أساس دعوته الدولة السعودية .

ويذكر منهم مؤسس الحركة السنوسية فى ليبيا ، الشيخ المعلم المجاهد : محمد بن على السنوسى (ت ١٢٧٦ هـ- ١٨٥٩ م) .

ويذكر منهم الداعية الثائر المجاهد ، الذى أيقظ الإسلام فى الشعب السودانى ، وقاتل الاستعمار الانجليزى ، وانتصر عليه ، وأقام للإسلام دولة فى جنوب وادى النيل ، الزعيم القائد محمد أحمد المهدى . (ت ١٣٠٢ هـ- ١٨٨٥ م) .

ويذكر منهم موقظ الشعوب ومنبه الأفكار ، وعدو الاستعمار ، وباذر بذور الثورة عليه فى عالم الإسلام ، داعية (الجامعة الإسلامية) السيد جمال الدين الأفغانى (ت ١٣١٤ هـ- ١٨٩٧ م) .

ويذكر منهم الأديب الرحالة المصلح ، داعية الحرية السياسية وعدو

الاستبداد السياسى ، الشيخ عبد الرحمن الكواكبى ، صاحب الكتابين الشهيرين : « طبائع الاستبداد مصارع الاستعباد » « وأم القرى » (ت١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م) .

ويذكر منهم تلميذ الأفغانى وشريكه فى تحرير (العروة الوثقى) وفى حركة الإيقاظ والتجديد ، رائد الإصلاح الفكرى والتعليمى ، وشيخ المدرسة العقلية الحديثة ، الأستاذ الإمام : محمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م) .

ويذكر منهم تلميذ الشيخ محمد عبده وصاحبه ، وناشر علمه ، الذى أخذ من شيخه الاستقلال فى الفكر ، والثورة على الجمود والتقليد ، وأضاف إليه التوغل في علم الحديث وآثار المدرسة السلفية ، فجمع بين القديم والجديد ، ووازن بين المعقول والمنقول ، وأصبح يمثل بجلاء (السلفية المجددة) التى تجسد الأصالة والمعاصرة بحق . ذلكم هو العلامة السيد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) و (تفسير المنار) والكتب التى كانت فى وقتها نماذج تحتذى، ومصابيح بها يهتدى (ت ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م) .

ويذكر منهم المربى المجاهد الصابر ، الذى قاوم علمانية الكماليين ، وطغيان أتاتورك وأشعل جذوة الإيمان فى قلوب الأتراك بالتربية والقدوة ، وبالرسائل الموجهة ، الشيخ بديع الزمان سعيد النورسى .

ويذكر منهم الرجل القرآنى ، والمعلم الربانى ، الذى جسد بدعوته شمول الإسلام ، وتوازنه وربانيته وواقعيته ، فربط الفكر بالحركة ، مزج العلم بالعمل ، وجمع بين التربية والجهاد ، كما جمع بين نقاء العقيدة السلفية وروحانية الصوفية السنية ، ودعا إلى الإسلام عقيدة ونظاماً ، ديناً ودولة ، عبادة وقيادة ، مصحفاً وسيفاً . وحارب الفساد والظلم فى الداخل ، والاستعمار والصهيونية فى الخارج ، وربى على الإسلام جيلاً جعل الله غايته ، والرسول أسوته ، والقرآن شرعته ، والجهاد وسيلته ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانيه ، إنه مؤسس كبرى الحركات الإسلامية الحديثة فى العالم : الإمام الشهيد حسن البنا (ت ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م) واضع أسس العمل الإسلامى الجماعى . الذى انتشرت رسائله وتلاميذه ، وتلاميذ تلاميذه فى العالم كله ، انتشار أضواء الصباح ، وشاء الله أن تكون المحن المتتابعة التى صبت على إخوانه وتلاميذ مدرسته ، سبباً فى هجرتهم بدعوتهم ، وتفرقهم فى أقطار الشرق والغرب ، فتنتشر بهم الدعوة والصحوة فى كل مكان .

ويذكر منهم المفكر المجدد ، صاحب النظر العميق ، والتحليل الدقيق ، ناقد الحضارة الغربية على بصيرة ، والداعى إلى نظام الإسلام عن بينة ، صاحب

الكتب والرسائل التى ترجمت إلى عشرات اللغات ، الذى وقف فى وجه دعاة (التغريب) و (أعداء السنة) والمنادين (بنبوة جديدة) والمرتزقة من الخرافيين ، والقبوريين ، ومشوشى الفكر ، من المقلدين الجامدين ، مؤسس كبرى الجماعات الإسلامية فى شبه القارة الهندية : العلامة أبا الأعلى المودودى (ت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) الذى اتفقت أصول دعوته مع أصول دعوة حسن البنا ، وإن لم يلتقيا ، وإنما التقى أبناء المدرستين ، وتعاونوا فى مجالات شتى ، وخصوصاً فى أوربا وأمريكا والشرق الأقصى .

ويذكر منهم العالم الداعية المربى ، الذى عايش القرآن مفسراً ومطبقاً ، ودعا إلى السلفية الواعية والروحانية الصافية ، وحارب الجمود فى الفكر ، والانحراف فى العقيدة ، والعوج فى السلوك ، ووصل العلم بالتربية ، مؤسس (جمعية العلماء) فى الجزائر ومنشىء مجلة (الشهاب) التى كانت كاسمها نوراً يهدى الحائرين ، ورجماً يرهب الشياطين ، الشيخ المصلح : عبد الحميد ابن باديس (ت ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م) .

ويذكر منهم الداعية الفقيه ، الصابر المجاهد ، صاحب الروح المشرق ، والبيان المغدق ، والعقل المنفتح ، الذى قاوم أعداء السنة ، فأسكتهم ، ودعاة العلمانية فأفحمهم ، مؤسس الحركة الإسلامية فى سورية ، ومنشىء مجلة (حضارة الإسلام) وصاحب الكتب القيمة ، والرسائل النافعة : الشيخ الدكتور / مصطفى السباعى (ت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) .

ويذكر منهم الرجل الصُلب ، الذى أُوذى فى الله ، فما وَهَنَ وما ضَعُفَ وما استكان ، وقدم عنقه فداء لفكرته ، صاحب القلم البليغ والأدب الرفيع ، والروح المحلق ، والفكر الثائر . صاحب (التصوير الفنى) ، (العدالة) و (الظلال) و (المعالم) وغيرها من الكتب التى انتشرت فى لغات العالم الإسلامى ، شرقاً وغرباً ، الأديب الكبير ، الداعية الشهيد : سيد قطب (ت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م) .

هؤلاء الميامين من الدعاة والمفكرين [١] كان لكل منهم تأثيره فى جانب من الجوانب ، على عدد من الناس ، يقل أو يكثر ، وفى رقعة من الأرض ، تضيق أو تتسع ، وعلى مدى زمنى « يقصر أو يطول ، وإن كان كل واحد

---

(١) من الدعاة والمفكرين الأحياء من له سهم كبير فى إيجاد الصحوة وفى إمدادها، لا يقل عن المذكورين وقد يزيد على بعضهم ، سيسجله التاريخ فى حينه . وقد اقتصرنا على أسماء من انتقلوا إلى جوار الله تعالى .

منهم يؤخذ منه ويرد عليه ، باعتبارهم بشراً غير معصومين يجتهدون فى خدمة الإسلام ، فقد يصيبون ، وقد يخطئون . وهم على كل حال مأجورون على اجتهادهم ، حتى فيما أخطأوا فيه إن شاء الله .

وكان لأصحابهم وخلفائهم وخريجى مدارسهم الفكرية والحركية نصيب لا يجحد فى حركة البعث والإحياء الإسلامى ، التى نقطف بعض ثمراتها اليوم .

ولا ننسى هنا نوادر البطولة ، ومواقف البذل والتضحية والثبات ، التى وقفها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، من أبناء الدعوة الإسلامية ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، عرفت منهم من عرفت ، فما رأيت إلا الحق ، وما شهدت إلا الصدق ، وما علمت إلا الخير ، مثل الداعية الفقيه المتمكن : عبد القادر عودة ، والعالم الواعظ الثقة المجاهد : محمد فرغلى ، وإخوانهما من الشهداء الأبرار : إبراهيم الطيب ، ويوسف طلعت ، وعبد الفتاح إسماعيل ، ومحمد يوسف هواش ، وموقف الرجل الصامد الشامخ الأستاذ حسن الهضيبى ، المرشد الثانى لجماعة الإخوان المسلمين ، ومواقف جماعة من الشهداء الأبطال من إخوانه وأبنائه الأبرار ، وغيرهم ممن بذل حياته ودمه لله قرير العين . فكانت هذه المواقف الإيمانية الفذة ، غذاء ووقوداً للصحوة الإسلامية .

كذلك كانت حركات الجهاد الإسلامى فى العصر الحديث مدداً للصحوة لا يخفى تأثيره على دارس ، كما كان لرموز هذه الحركات الجهادية تأثيرهم ودفعهم ، مثل حركة الأمير عبد القادر فى الجزائر ، والزعيم محمد أحمد المهدى فى السودان ، والأمير عبد الكريم الخطابى فى المغرب ، والشهيد عمر المختار فى ليبيا ، والشيخ عز الدين القسام والمفتى أمين الحسينى فى فلسطين .

وإلى جوار رجال الجهاد والعمل ، كان هناك رجال يعملون فى ميدان الفكر والثقافة والأدب ، يوقظون العقول ، ويحركون المشاعر ، ويصححون المفاهيم ، ويقاومون الاستعمار الثقافى .

ومن هؤلاء شاعر الإسلام فى الهند ، الفيلسوف المفكر ، الذى أيقظ بفكره العقول ، وبشعره القلوب ، الدكتور محمد إقبال .

ومنهم أمير البيان ، ومحامى الإسلام ، الأديب العالم الموسوعى المؤرخ المصلح ، صاحب المقالات الناصعة ، والتعليقات الرائعة ، والكتب النافعة ، الأمير شكيب أرسلان .

ومنهم أديب العربية والإسلام ، الذى جعل الله من قلمه للحق سيفاً يمحق به الباطل ، صاحب الروائع البيانية ، والمعارك الأدبية فى نصرة الإسلام ، ومقاومة دعاة التغريب : مصطفى صادق الرافعى .

ومنهم الكاتب العملاق ، صاحب العبقريات الإسلامية ، الذى سخر قلمه فى سنواته الأخيرة لبيان حقائق الإسلام ، وأباطيل خصومه ، ومقاومة الدعوات الهدامة من الشيوعية وغيرها ، عباس محمود العقاد .

ومنهم داعية النهوض الحضارى ، المفكر المسلم المتميز بعقلانيته وعمق تحليله ، صاحب (الظاهرة القرآنية) و (شروط النهضة) وغيرها ، المفكر الجزائرى مالك بن نبى .

ومنهم المفكر الداعية الناقد البصير ، مؤلف (نظام الإسلام) وغيره من الكتب المتميزة ، الأصيلة : الأستاذ محمد المبارك . وآخرون لا نستطيع حصرهم من رجال العلم ، ورجال الأدب ، ورجال التربية ، ورجال الدعوة : أسهم كل منهم – بقدر يقل أو يكثر – بلسانه أو بقلمه ، بقوله أو بفعله .

ولا ننسى جماعات وحركات كان لها أثرها ومساهمتها فى مجال الصحوة ، على اختلاف اتجاهاتها ومشاربها ، بالإضافة إلى أم الجماعات ، وكبرى الحركات الإسلامية : حركة الإخوان المسلمين .

منها : جماعة الدعوة والتبليغ ، التى تاب على أيدى أتباعها كثير من العصاة فى بلاد العجم والعرب ، وعرفوا الطريق إلى المسجد والصلاة ، والتوبة، بعد شرور المعصية ، وشرور الغفلة .

ومنها : الحركة السلفية التى عنيت بتصحيح العقيدة ، وتصحيح العبادة وتحريرها من الشركيات والخرافات ، والدعوة إلى الاعتماد على الكتاب والسنة ، لا على تقليد المذاهب أو اتباع الطرق .

ومنها : جماعة الجهاد التى ربت أتباعها على معانى القوة والصلابة ، وقيم البذل والتضحية ، والاستشهاد فى سبيل الله .

ومنها : حزب التحرير الإسلامى الذى وقف جهده على الدعوة لإقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة الإسلامية .

وتأثير هذه الجماعات ليس متساوياً . كما أن لكل منها ما لها وما عليها من ناحية فكرها ، وأهدافها ، وأساليبها ، ولكن ليس هذا مقام التقويم لها .

إنما نتحدث عن كل من أسهم فى ظهور الصحوة بجهد ما . كما لا ننسى دور الجامعات الإسلامية القديمة والحديثة ، كالأزهر ، والزيتونة ، والقرويين ، وندوة العلماء بالهند ، والجامعة الإسلامية بالمدينة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض . وغيرها من المؤسسات العلمية الإسلامية .

* * *